ملامح الفكر الاجتماعي في أدب العراق القديم

Features of social thought in the literature of ancient Iraq

أ.م.د. سعدون عبدالهادي برغش الأمير
جامعة واسط- كلية التربية للعلوم الانسانية
Subrghish@uowasit.edu.iq

الملخص:

تعالج الدراسة ملامح الفكر الاجتماعي الوارد في أدب العراق القديم عبر تتبع ذلك الفكر لتكوين صورة عامة وصولا إلى لب الفكر الاجتماعي في العراق القديم.

ركزت الدراسة على إظهار النمط العام للفكر الاجتماعي من خلال تتبع ذلك الفكر من اسلوب ونمط وانعكاس توجهات الانسان العراقي القديم الاجتماعية، وكيفية معالجته لمفاهيم العيش الكريم والسلم الاجتماعي، وكيف واجه الصراع والتفكك الاجتماعي؛ فبمقدار عالٍ من التقنية البحثية نستطيع تحديد ملامح الفكر الاجتماعي من خلال مفاهيم أخرى عكست اهتماما فكريا بقضايا غاية في الأهمية للإنسان تمثلت بالحرية والعدالة الاجتماعية والقضائية التي منحت الأسبقية للعراقيين القدماء في إثارة قضايا لازالت تشغل فكر الباحثين في الشأن الاجتماعي للبشر.

الكلمات المفتاحية: الفكر، الأدب العراقي القديم، المجتمع، العدالة الاجتماعية، العدالة القضائية، السلم الاجتماعي.

Abstract

Features of social thought in the literature of ancient Iraq

The study deals with the features of social thought contained in the literature of ancient Iraq by tracing that thought to form a general picture down to the core of social thought in ancient Iraq.

The study focused on showing the general pattern of social thought by tracing that thought in terms of style, pattern and reflection of the ancient Iraqi human social orientations, and how it deals with the concepts of decent living and social peace, and how it faced conflict and social disintegration. With a high amount of research technology, we can define the features of social thought through other concepts that reflected an

preoccupy researchers in the social affairs of humankind.
Key words: thought, ancient Iraqi literature, society, social justice, judicial justice, social peace.

intellectual interest in issues of great importance to the human being, represented by freedom and social and judicial justice that gave primacy to the ancient Iraqis in raising issues that still

المقدمة:

تناول الأدب العراقي القديم مواضيع مختلفة كانت موضع اهتمام العراقي القديم سواء في تعليله لمظاهر الطبيعة أو ملاحم البطولة أو نظرته الى عالم ما بعد الموت أو الحكم والأمثال وغيرها مما شغل باله لمساسها بحياته ووجوده. ويُعد الأدب العراقي القديم أقدم آداب العالم مما يؤكد إبداع العراقي القديم في مختلف المجالات. ومن المواضيع التي اهتم بها الأدب العراقي القديم هو الجانب الاجتماعي وما يتعلق به من أفكار وسلوكيات ومُثل. وسنحاول في هذه الدراسة الوقوف على الفكر الاجتماعي في العراق القديم بالاستناد إلى النصوص الأدبية، ونحن هنا لا نتحدث عن فكر اجتماعي على شكل نظريات كما هو اليوم بل نتحدث عن استجلاء النصوص الأدبية للوقوف على ما تضمنته من فكر اجتماعي. فما طرحته النصوص العراقية القديمة من ممارسات اجتماعية لابد أنها حملت أفكارا تحولت إلى ممارسات وصياغات أدبية وسياسية وقانونية غير أننا سنقصر حدود الدراسة على النصوص الأدبية. وهناك نقطة غاية في الأهمية لابد من الإشارة اليها، وهي أن النصوص الأدبية التي تحدثت في مجملها عن الآلهة وعلاقاتها وتفاعلها هي في حقيقتها تجربة الانسان العراقي مع بيئته ومحيطه وعلاقاته الاجتماعية لذا فهي في الحقيقة تعكس تساؤلات وممارسات ومشاغل وهموم العراقي القديم. وهذا مصداق لقول ليفي شتراوس، في معرض حديثه عن علاقة الاسطورة بالتاريخ: " التعارض البسيط بين الأساطير والتاريخ والذي اعتدنا أن نصطنعه – ذلك التعارض ليس تعارضا حاسما، وان هناك مستوى من العلاقة الوسطية المشتركة بينهما" (شتراوس، ١٩٨٦، صفحة ٦٢). فقد كانت الاسطورة المستودع الفكري للإنسان البدائي طرح من خلالها أفكاره وتصوراته عمّا كان يشغل باله من شؤون الحياة التي كان على تواصل مباشر معها. تقوم مشكلة البحث على تداخل الفكر الاجتماعي والاساليب والانماط التي تضمنتها الصور الأدبية في العراق القديم، إذ لم تكن هناك نصوصا خالصة تبين ذلك الفكر بمعزل عن الأدب أو النصوص الكتابية الأخرى. تتمثل فرضية البحث في إمكانية الوصول إلى تبين

الفكر الاجتماعي ومميزاته من خلال النصوص الأدبية التي وصلت إلينا من حضارة العراق القديم.

تأتي أهمية الدراسة في الوقوف على كمية الأفكار الاجتماعية التي طرحها الأدب العراقي القديم كالعدالة الاجتماعية والقضائية وحرية الفرد والسلم الاجتماعي والسلوك القويم وغيرها من الأفكار الاجتماعية. عاكسا أصالة واسبقية ذلك الفكر. قُسم البحث إلى محاور عديدة، تناول الأول انعكاس بنية المجتمع البشري على مجتمع الآلهة، في حين تناول الثاني التمدن والتحضر، أما الثالث فقد جاء تحت عنوان حرية الارادة، ودرسنا في المحور الرابع الحرية السياسية، وفي الخامس السلم والعدالة الاجتماعيين، وخُصص السادس لدراسة العدالة القضائية، أما السابع فدرس موضوع التنافس والصراع الاجتماعي. اقتضت الدراسة استخدام المنهج التحليلي لتفكيك النصوص الأدبية و تحليل محتواها وصولا إلى الأفكار الاجتماعية التي تضمنتها تلك النصوص.

المحور الأول: انعكاس بنية المجتمع البشري على مجتمع الآلهة

وفقا للفكر العراقي القديم فإن خلق الكون، وكل ما فيه، وتنظيمه وادارته يرتبط بالآلهة الذين يشبهون البشر شكلا غير أنها تفوقه قدرة كما أنها خالدة على عكس البشر. وقد نظم العراقي القديم آلهته على شكل أسر فهناك الأب والأم والزوجة، وهذا ناجم عن أن الانسان العراقي القديم عبر عن مشاعره تجاه أسرته ليطبع بها القرابة الإلهية لاستيعاب قلقه ولحفظ التوازن الاجتماعي للفرد وما يربطه من علاقات اجتماعية، حتى بات من النادر أن نجد إلها ذو شخصية متكاملة بعيدا عن الآلهة الأخرى، أو أن وجوده كان مستقلا بعيدا عن العلاقات القرابية أو السلالة، وصلات القربى هذه كانت حافزا للأعمال المبدعة والتصرفات الاخلاقية، وهذا ناجم عن الفخر بالأجداد ذوو المكانة والتشبه بهم، ولإعطاء المثل الجيد والصالح للأبناء والأحفاد (الحوراني، ١٩٧٨، صفحة ٣٥). وأن تعدد الآلهة وتفرع سلالاتهم يُعد برهانا على اعتماد التجربة الانسانية لفهم مبادئ الطبيعة وتصنيفها، والتوسع بهذا التصنيف كلما زادت خبرة الانسان في هذا المجال (الحوراني، ١٩٧٨، صفحة ١٨٢). كما بينت لنا النصوص الأدبية أن الآلهة لم تكن على منزلة واحدة، وأنها نظمت في تراتبية بحسب أهميتها (كريمر، السومريون، تاريخهم وحضارتهم وخصائصهم، ١٩٧٣، الصفحات ١٥٦-١٥٧). فليس من المنطقي أن يتساوى الإله الموكل بالآجر مع الإله الموكل بالشمس ولا الإله الموكل بالسدود والجداول بالإله الموكل بالأرض. وهكذا فقد تصور العراقي القديم

عالم الآلهة وفقا لفهمه للمجتمع البشري، فقال بوجود كائنات حية على هيئة البشر تسير الكون ومظاهره المتعددة وتسيطر عليها. يضاف إلى ذلك وبالاستناد إلى التنظيم السياسي البشري كان على رأس مجمع الآلهة إلها اعترفت به جميع الآلهة ملكا وحاكما عليها. وقد كان مجمع الآلهة يقوم على هيئة مجلس يرأسه الإله آنو (إله السماء)، وكان أهم أعضاء هذا المجلس الآلهة السبعة مقررة المصائر ثم الآلهة الخمسين التي تُدعى الآلهة العظيمة، غير أن أهم تقسيم هو ذلك الذي يميز بين الآلهة الخلّاقة وغير الخلّاقة (كريمر، السومريون، تاريخهم وحضارتهم وخصائصهم، ١٩٧٣، الصفحات ١٥١-١٥٢).

إن ما سبق طرحه يعني أن العراقي القديم قد عكس صلاته الاجتماعية فضلا عن التدرج الاجتماعي لمجتمعه على مجتمع الآلهة. وهذا يدفعنا إلى القول أن ما يقال على لسان الآلهة هو في حقيقته تجارب الانسان مع بيئته ومجتمعه. أما ما يتعلق بالإنسان الذي أوجد هذا التنظيم فقد جعل الفكر العراقي القديم عملية خلقه إنما تمت لخدمة الآلهة ورفع عناء العمل عنها، والسهر على راحتها لتنعم بالحرية وفقا لما ورد في أسطورة اتراخاسيس (لابات، ١٩٨٨، صفحة ٢٤).

المحور الثاني: التمدن والتحضر

كان العراقي القديم، وتحديدا السومري، على إدراك تام بالتحضر والعمران فضلا عن أخذه بأسباب التطور والرقي، وهذه المرحلة من التحضر التي وصل اليها لابد أن سبقتها مرحلة تختلف عنها، هي أدنى منها جعلته يدرك الفارق بين المرحلتين، كما يعطينا هذا التدرج التطوري دليلا على أن السومريين هم أبناء هذا البلد تدرجوا فيه من أقدم الأزمان وصولا الى مرحلة السيادة السياسية. إن وعي العراقي القديم بأن هناك مرحلة من عدم التحضر قد مرت على اسلافه وضحها لنا المقطع الآتي من المناظرة بين الماشية والغلة:

" **مثل البشر لمّا خلقوا لأول مرة،**
لم يعرف (الانوناكي) أكل الخبز،
ولم يعرفوا ارتداء الحلل،
وكانوا يأكلون النبات بأفواههم كالأغنام،
ويشربون الماء من الجدول" (كريمر، السومريون، تاريخهم وحضارتهم وخصائصهم، ١٩٧٣، صفحة ٣١٥)

امتزج الفكر الاجتماعي بين عالم الإنسان وعالم الآلهة، فهذا النمط من سبل العيش ليس هو ما يطمح اليه العراقي القديم لذا نجد فكره الاجتماعي يرسم نظرته للمستقبل عبر تصورات إلهية هي في حقيقتها ما كان يدور في عقله لإعطاء تصور عن حياته المعاشة، أو لإيجاد تعليل لما يحيط به من فعاليات

كونية لها مساس بحياته أو ايجاد تفسير عن الكيفية التي ظهرت فيها الفعاليات الحياتية المختلفة، التي تمكن من استغلالها لمعيشته وتطوره الحياتي. لذا فقد طلب الإله انكي من الإله انليل انزال اشنان (إلهة الحبوب) و لخار (إلهة الماشية) إلى الأرض من أجل توفير سبل العيش الرغيد للإنسان، وبتعبير النص " **جلبا نفس الحياة إلى الأرض**" فعمت المنفعة والخير ليشمل الفقير الذي تمتع بالرخاء بحسب النص (كريمر، الأساطير السومرية، ١٩٧١، الصفحات ٨٣-٨٤). إن شمول الآلهة للفقير بالرخاء يعني الحديث عن الاهتمام بهذه الطبقة وتوفير سبل العيش الكريم لها، من الناحية الفكرية على الاقل لأن الواقع الاجتماعي ربما يخالف ذلك.

هناك الكثير من النصوص الأدبية التي ركزت على توفير مستلزمات الحياة الكريمة للإنسان، فتطالعنا اسطورة خلق الفأس أن الإله انليل هو الذي فصل السماء عن الأرض لكي تنمو الكائنات، و جلب البذور لتزرع في الأرض، وهو الذي خلق الفأس واليوم والعمل، وهو الذي قدر المصير (كريمر، الأساطير السومرية، ١٩٧١، صفحة ٨١). وتركز الاسطورة على أهمية الفأس في الزراعة والعمران، وفي الحقيقة هذان العاملان مترابطان فلولا الزراعة لما كان الاستقرار، وبدون الاستقرار لن يكون هناك عمران أو تمدن. كما أن المردود الاقتصادي الجيد للزراعة يسهم إسهاما فاعلا في تطور سبل العيش وصولا إلى مرحلة الترف للبعض على الأقل، وبالنتيجة يُسهم في التصنيف الطبقي للمجتمع اعتمادا على ملكية الأرض ومردودها الاقتصادي.

" **الرب الذي سمى الفأس وقدر مصيرها**
وضع (الكندو)، التاج المقدس على رأسه
رأس الانسان وضعه على التراب
قبل (انليل) (هو) (الانسان) غطى أرضه
نظر إلى الناس ذوي الرؤوس السود بثقة
(الانوناكي) الذين جلسوا على مقربة منه
وضعها (الفأس؟) كهدية في أرضهم
ورتلوا الصلوات مع (انليل)...
الفأس والسلة تبني المدن
الدار الثابتة الأركان بنتها الفأس، الدار الثابتة الأركان أنشأتها الفأس
الدار الثابتة الأركان هي التي سببت الازدهار" (كريمر، الأساطير السومرية، ١٩٧١، الصفحات ٨١-٨٢). وطبع العمران والتنظيم بالطابع الإلهي في الفكر العراقي القديم يبدو جليا في النصوص الأدبية، وهذا متأتي من كون العراقي القديم كان مؤمنا بأن لا شيء خارج الإرادة الإلهية. وقد كانت السلطة الإلهية غير المحدودة هي أقوى وأخطر السلطات على الاطلاق، وتسري هذه السلطة على جميع الطبقات الاجتماعية دون استثناء (كونتينو، ١٩٧٩،

صفحة ٤٤٣). وهذه السلطة هي الموجدة لكل شيء بما في ذلك التنظيم الاجتماعي. فنقرأ في ترتيلة يُمجد فيها الإله انليل:

" **فبدون انليل ((الجبل العظيم))**
ماكان بالإمكان تشييد أية مدينة،
ولا بناء أية مستوطنة
ولا كان يمكن إقامة أية مرابط أو حظائر للأغنام
وما كان يمكن (رفع) أي ملك
ولا يولد أي كاهن جليل.." (رو، ١٩٨٤، صفحة ١٣٤).

وهكذا لم يكن الإله انليل إلها للعبادة الدينية فقط بل هو نظام من أنظمة الطبيعة اندمج في نظام المجتمع وتغلغل في تفاصيل حياته الاقتصادية والاجتماعية لتغدو قدسية هذا الإله مزيجا من سطوة السلطة التي تمارس بإسمه، و حرمة القانون الذي يحافظ على التوازن والعدالة بين أفراد المجتمع، فضلا عن الحس القومي المرتبط بالشعور الديني (الحوراني، ١٩٧٨، الصفحات ١٨٥-١٨٦).

ويمكن تتبع ملامح التحول الاجتماعي من حياة التوحش إلى التحضر من خلال ملحمة كلكامش إذ مثل انكيدو حياة التوحش التي عاشها قبل تحوله إلى مرحلة التحضر، عن طريق الفهم والمحبة لا عن طريق العنف لأن القوة لا تصلح دائما كحل للمشكلات إذ أوجدوا طريقة حضارية لتحويل حياة انكيدو المتوحش الذي لم يبارح الغابة فكانت المرأة هي ذلك السلاح، فالرجل يخضع للمرأة بالحب لا بالعنف وهو ما حدث مع انكيدو، فبعد ان جامع البغي طيلة ستة أيام خارت قواه غير الاعتيادية لكن بالمقابل اتسعت مداركه، وبدت عليه سمات الرجل الحكيم في حين نفرت منه الحيوانات التي كانت تألفه في السابق، وكل هذه العلامات هي اشارات لتحضر انكيدو بفعل المرأة التي استمرت في عملية تحويله الى التحضر بجعله يرتدي الثياب، و بتعليمه كيف يأكل وكيف يحتسي الشراب (الحوراني، ١٩٧٨، صفحة ٢٩٣). وهنا يمكن القول أن العراقي القديم اعتمد الطرق الحضارية في عملية تغيير الطبع الاجتماعي.

المحور الثالث: حرية الارادة

لم يترك العراقي القديم للصدفة نصيبا في تنظيم مجتمعه، وقد أدى المصير دورا بارزا في ذلك، فقد كانت الآلهة تقرر المصير السنوي للبلاد. وتقرير المصير يُعطي تأكيدا على سيادة النظام المقرر وعدم تغييره مستقبلا (كونتينو، ١٩٧٩، صفحة ٤٤٥). وهذا ما جاء على لسان مردوخ في قصة الخليقة البابلية:

" **إعقدوا اجتماعا وأعلنوا سلفا قدري...**
وليكن بأمري بدلا من أمركم أن أتولى تحديد القدر
ولا شيء مما سأخلقه يمكن أن يتغير

وألا يُرفض أو يحور أي أمر يخرج من بين شفتي" (لابات وآخرون، ٢٠٠٦، صفحة ٥٣).

إن تقرير المصير يعني المحافظة على ما هو مقرر، وهو بهذا يشكل ضمانة للنظام إزاء الفوضى، وهو دليل على الوجود الكلي، كما يشكل تحديدا للإرادة الفردية الحرة، بل و يمثل ضمانة تقدمها فئة الكهنة حيال هواجس الاوتوقراطية الملكية (كونتينو، ١٩٧٩، صفحة ٤٤٥).

يحاول الفكر العراقي القديم أن يعطي فكرة للإنسان بأنه لا يستطيع أن يسير شؤونه بعيدا عن ارادة الآلهة لأنه لا يرقى الى تلك المرتبة التي تمكنه من التمييز بين ما هو صالح وما هو شرير لذا عليه أن يسير وفق الخطط الإلهية ليكون إنسانا سعيدا في مجتمعه. وهذا يعني أن على الانسان اتباع ما يقوله القائمون على شؤون الآلهة، والعارفون بخططها وهم رجال الدين الذين يرتبطون بالسلطة السياسية ممثلة بالملك، الذي هو نائب الإله على الأرض، دون اعتراض على الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية. وهكذا نجد أن هذه الفكرة إنما هي محدد من محددات حرية الانسان.

" **الانسان أصم لا يعرف شيئا**
فأية معرفة هي معرفة الانسان؟
إنه لا يعرف ان كان عمله خيرا أم شرا.
فأين هو الانسان الذي لم يرتكب إثما؟
الإله هو الذي يوحي بما هو صالح وبما هو ضار.
والذي له إله تغفر خطاياه.
والذي ليس له إله تكثر متاعبه"
(Lambert, 1960, p. 16).

المحور الرابع: الحرية السياسية

كانت السلطة العصر الشبيه بالكتابي سلطة اجتماعية سيرها العرف والتقاليد الاجتماعية، وتلك السلطة كانت تفتقر للقوة اللازمة لتنفيذ قراراتها، لذا كانت تلك القرارات تنفذ استنادا للعرف الاجتماعي دون اكراه. وهذا يجعلنا نقول أن المجتمع الذي حكمته تلك السلطة كان يتمتع بنوع من الحرية في اتخاذ القرارات المتعلقة بالشأن العام (الحرية السياسية)، إذ إنَّ ممارسة السلطة كانت قائمة على مبدأ الديمقراطية البدائية (Primitive Democracy) ، مقارنة بالوضع مع السلطة السياسية التي امتلكت السلطة والقوة معا لتقرر وتنفذ ما تريد. فقد كان هناك مجلسان أحدهما للشيوخ والآخر للشباب، ولهذين المجلسين دورهما الهام في ادارة شؤون المجتمع. وقد تسنى لنا معرفة ملامح تلك السلطة بالاستناد الى النصوص الأدبية[1].

سار المجتمع في تطوره سيرا تصاعديا، وهذا التطور أفرز وجود سلطة تقوم على تنظيم شؤون حياته المختلفة؛ ومن هنا نجد ان أهم

أسباب ظهور السلطة السياسية في العراق القديم كانت إقامة النظام في المجتمع، وهذا لا يعني بالطبع أن المجتمع كان يعيش في الفوضى لكن تطور المجتمع أفرز صعوبات ومشاكل جديدة كما أن ازدياد عدد السكان كان يعني بالضرورة زيادة المشاكل التي تحتاج إلى حلول، فضلا عن الأخطار الخارجية تطلب وجود سلطة غير السلطة الاجتماعية القائمة على العرف فظهرت لدينا السلطة السياسية (جاكبسون وآخرون، ١٩٦٠، صفحة ٢٠٤، ٢١٤). وهذه السلطة التي أضفى عليها العراقي القديم القدسية كانت إيذانا بدخول المجتمع مرحلة التحضر (الأحمد، ١٩٨١، صفحة ١٣٩).

" **ففتش انليل العروش في السموات (....)،**
بحث في كل مكان (عن عرش الملك)،
(إذ لم يكن) في البلاد ملك.
إذ ذاك نزلت الملوكية من السموات.
(انليل) قرر (ان يخلق ملكاً في البلاد)"
(لابات، ١٩٨٨).

إن السلطة التي أقامتها الآلهة لبني البشر، كان أحد أهم مبررات وجودها هي تحقيق الرفاه المجتمعي[٢]، وإلا كانت معرضة للمحاسبة والعقاب الإلهي ان فشلت في هذا المسعى. كان تحقيق الرفاه المادي للمجتمع يتطلب تطويع الطبيعة لصالح الانسان من خلال شق القنوات واقامة السدود، واصلاح الأراضي وغيرها من متطلبات زيادة الانتاجية. وقد كانت هذه الأعمال تتم بسواعد أبناء الشعب لكنها كانت لا تتم بعيدا عن الإرادة الإلهية بحسب تفكير العراقي القديم، وهذا التزاوج بين نشاط الانسان وموضوعه كان أحد مكونات الوعي الاجتماعي على المستوى الذاتي، فيتحول جهد العمل الى شيء موضوعي في ما تم انجازه بفعل الجهد البشري الذي يمثل طريق اتصال بين الوعي والطبيعة. وتبعا للجدوى الاقتصادية لهذه الأنشطة نجدها تتسامى في واقعة وعي جديدة، تدمج ما غيّرَهُ الانسان في الطبيعة في ادارك الطبيعة والمجتمع معا. وفي ظل الارتباط بين المشترك – الدولة تكون النتيجة اشتراك جميع طبقات المجتمع في ذلك الوعي. كما أن المعارضات الفكرية تقوم على الأرضية المشتركة والعامة لواقعة الوعي هذه، وليست منفصلة عنها (بانو، ١٩٧٩، الصفحات ١١٥-١١٦). فالملك في العراق القديم باعتباره وكيلا للإله في إسعاد البشر يتخذ من حفر قنوات الري وخزانات المياه كعلاقة ارتباطية بين نفسه وبين الإله، مستغلا ما يقوم به من أعمال لتأكيد مدى ارتباطه بالإله من أجل زيادة نفوذه وسطوته على المجتمع. في ذات الوقت نجد الطبقات الشعبية ليست بعيدة عن القوى الحية في الطبيعة، فهذا ساحر شعبي يعكس التصور الشعبي لقوى الطبيعة الحية اثناء ممارسة عملية التطبيب: إنه " **يسأل**

الحيوانات... وقنوات الري والآبار... وشروق الشمس وغروبها" فهو هنا يخاطب قوى الطبيعة الحية، ومن ضمنها قنوات الري، التي تقوم بدور شبيه لقوى الطبيعة الأخرى، لتغمر الانسان بفضائلها (بانو، ١٩٧٩، صفحة ١١٦).

انعكست العلاقة الوثيقة بين الانسان والطبيعة على هيئة طقوس وممارسات هدفها زيادة الخصب ووفرة الانتاج وكان طقس الزواج المقدس الأبرز بين تلك الطقوس التي تهدف لتحقيق الرخاء الاجتماعي، وهذا ما نتبينه من المقطع الآتي من أناشيد الزواج المقدس، الذي يوضح النعم المأمول أن تمنَّ بها الإلهة انتّا (عشتار) على الملك لتحقيق رفاهية المجتمع واستقرار السلطة الحاكمة:

" **وليكن راعي الرؤوس السوداء أينما وجدوا!**
وكفلاح، فليخصب الأرض
وكراع حقيقي، فليضاعف القطعان!
ولتكثر خلال حكمه، الزروع والحبوب؛
وليحصل على فيض الأسماك في الأنهار،
(وفيض) الأسماك في الأهوار، تغرد
فيها العصافير بتنافس
(إمنحيه) (قصبا قديما) في مزرعة القصب
و (قصبا جديدا) بكثافة!
وليرتفع المشجور[٣] **في السهول!**
ولتكثر الأيايل والعنز البري في الغابات!
ولتنتج البساتين حلاوة وخمرا
وليملأ الجرجار (؟) والخس مزارع الخضار
ولتكن له في القصر حياة مديدة
ولتكن في دجلة والفرات المياه وفيرة!:
ولتنبت على ضفافهما أعشاب غزيرة،
تغطي الحقول
ولتكدس فيها سيدة الزروع النبيلة(الإلهة اشنان)، الحبوب
في أكوام وتلال..." (الشواف، ١٩٩٦، الصفحات ١٦٢-١٦٣). وفي نص كوديا الذي يتحدث عن تجديد معبد الإله ننكرسو نجد أن مكافأة كوديا على هذا العمل هو الوفرة والرفاه الاجتماعي، بمعنى آخر أن الرفاه الاجتماعي مرتبط هنا بطاعة الإله والعمل على خدمته:

" **أيها الراعي الأمين، جوديا، عندما تضع يدك الأمينة من أجلي**
عندئذ أدعو السماء لكي تمطر،
وينزل الفيض اليك من السماء،
وينعم الناس بهذا الفيض.
بتأسيس بيتي سوف يأتي الفيض،
الحقول الفسيحة سوف يطول زرعها من أجلك،
في الروابي التي لم يرتفع اليها ماء،
سوف يرتفع الماء من اجلك..." (كريمر، طقوس الجنس المقدس عند السومريين، ١٩٨٧، صفحة ٥٢). وهكذا نجد الملك في العراق القديم ملزما بتحقيق رفاهية المجتمع، هذه الرفاهية التي نجد ترابط بينها وبين

خدمة الملك للآلهة من خلال القيام بواجباته الدينية من بناء المعابد وترميمها، وتقديم القرابين واقامة الطقوس الدينية. و لكي تتحقق أسباب العيش الكريم لم تغب عن فكر العراقي القديم متطلبات ذلك من أمن واستقرار وصحة كي يعيش أبناء المجتمع بسعادة وهناء. وهذا ما يوضحه المقطع الآتي من القصيدة المعروفة بلعنة أكد:

" **أن يُجمع كلُّ شيء في المخازن**
أن تكون مدينتهم موطنا راسخ الأركان،
أن يأكل أهلها (مأمون) الطعام،
أن يشرب أهلها (مأمون) الماء،
أن تُشيع (الرؤوس) المستحمةُ البهجة في الساحات،
أن يزين الناس مكان الأفراح..." (كريمر، طقوس الجنس المقدس عند السومريين، ١٩٨٧، صفحة ٧٨). الأكثر من ذلك فإن الملك في العراق القديم يضع نفسه بموضع الإله لتقديم الخدمات الحياتية للمجتمع، وهو بهذا يجعل الوجود الاجتماعي للإنسان فضلا عن أساس وجوده الحيوي منحة يهبها له (بانو، ١٩٧٩، صفحة ١١٩). كما أنَّ تحكم الملك بمقدرات أبناء المجتمع، وتسامي مكانته تجعل منه ضامنا للنظام الاجتماعي (بانو، ١٩٧٩، صفحة ١٢٥). بالمقابل فإن موت الملك كان يعني ذبول الزرع، وتكمن العلاقة هنا عندما يساوى فيها الملك المتوفى بالإله دموزي (تموز). وهذا واضح من الشبه في التعابير التي يُندب فيها الملك المتوفى وتلك التي تُستخدم في إظهار الحزن على الإله دموزي عند موته (كونتينو، ١٩٧٩، صفحة ٤٩٣).

يهدف هذا الالحاح في ربط الرخاء والرفاه الاجتماعي بالملوك إلى التأثير على عقل وضمير المتلقي كي يصل إلى درجة اليقين بمدى تأثيرهم على حياة الانسان المعاشية، وعندها يصبح هؤلاء الملوك لا غنى للمجتمع عنهم لأن عاقبة ذلك ستكون دمار ذلك المجتمع. ومن هنا يمكن القول أن السلطة الحاكمة لجأت إلى الفكر الديني لإيجاد المبرر في فرض ما تريده على المجتمع، وهي بهذا تكبل الفرد الذي هو عضو في المجتمع بمجموعة من القيود الفكرية يفقد معها حرية قراره الشخصي ويمنعه من المطالبة بحقوقه أو الاعتراض على المتحكمين في شؤون حياته. وبالطبع ينسحب هذا الأمر على المجتمع ككل.

المحور الخامس: السلم والعدالة الاجتماعيين

القضية الأخرى التي هي على قدر كبير من الأهمية، هي قضية السلم الاجتماعي الذي ربطه الفكر العراقي القديم بالسلطة كونها هي التي عليها واجب المحافظة على وحدة المجتمع، وسلامة بنيته الاجتماعية من أي تصدع قد يُصيبها لسبب من الأسباب. وبما ان السلطة هي نتاج إلهي نتبين أن الآلهة،

وتحديدا الإله انليل، هو من يؤكد على ضرورة السلم الاجتماعي؛ فقد جاء في اسطورة انكي وتنظيم الكون اعطاء انليل القدرة للإله انكي على استقرار الانسان وأن يطيع أوامر السلطة، وأن لا يشهر الناس السلاح ضد بعضهم لكي ينعموا بالسلام والاستقرار:

" **انليل، الجبل – الكبير، منحك القدرة على أن تبتهج وأن تجعل الأفراح تستمر...**
أنت الذي ركّنت البشر في مساكنهم
وسهرت لكي يتبعوا راعيهم!
أنت الذي جعلتهم يتركون السلاح في بيوتهم [....]،
فضمنت لهم بذلك أن يعيشوا بسلام!" (قاسم، ١٩٩٩، صفحة ١٦٢).

كانت العدالة الاجتماعية أحد المواضيع التي بحثها الأدب العراقي القديم مما يؤكد وعي العراقي القديم بها، واهتمامه البالغ بهذا الموضوع، ومن الواضح أن العراقي القديم كان مدركا للتباين الموجود بين الأغنياء والفقراء ما يؤكد غياب العدالة الاجتماعية. فقد جاء في أحد الأمثال:

" **أولى بالفقير ان يموت، فإنه إن حصل على الخبز عدم المأوى، وان كان عنده ملح عدم الخبز، واذا كان له بيت عدم الفراش**" (باقر، ١٩٧٦، صفحة ١٥٩). ويلقي مثل آخر الضوء على استكانة الفقراء، واستسلامهم للحالة التي هم فيها، وعدم رفع صوتهم للمطالبة بحقوقهم من السلطة، إذ جاء فيه " **الفقراء هم الصامتون وحدهم في سومر**" (علي ف.، ٢٠٠٠، صفحة ٢٦٩).

من خلال المثلين الواردين في أعلاه يمكن الوقوف على الآتي:

١- التباين الطبقي في المجتمع العراقي القديم، وهذا ما نتبينه من خلال القوانين العراقية القديمة أيضا، و يبدو أن البون شاسع بين الطبقات.

٢- التوزيع غير العادل للثروات بين الأغنياء والفقراء؛ فكما هو واضح أن الفقير لا يستطيع الحصول على الحاجات المعيشية الأساسية إلا بصعوبة بالغة وهو على الدوام يعاني عوز العيش.

٣- إن صمت الفقراء رغم سوء أوضاعهم يثير تساؤلا عمّا إذا كان هذا الصمت بسبب سطوة السلطة الحاكمة فضلا عن عدم قدرتهم على المواجهة أم بسبب الايديولوجية الفكرية القائمة على ارتباط السلطة السياسية بالآلهة، وأن عليهم القبول بقدرهم. ونحن نرجح السبب الأول كون الصمت صفة خاصة بهم تحديدا في حين يفترض أن تشمل الايديولوجية الفكرية جميع أبناء المجتمع، مع الاشارة إلى أن الفقراء هم أكثر تعلقا بالطروحات الدينية.

يمكننا المقارنة بين الحالة المعاشية لفقراء القوم وبين من هم في خدمة الملك، ضمن السلك الوظيفي، ففي رسالة من معزم

ومستشار وكبير نساخ الملك الآشوري آشور- بانيبال (٦٦٩-٦٢٦ ق.م) المدعو ورد- كولا Warad - Gula إلى سيده الملك يشكو فيها ما وصلت إليه حالته المعاشية من سوء، وهو الذي كان منعما، بعد أن طرده آشور- بانيبال من وظيفته، فيقول:

" **إلى الملك سيدي، من خادمك ورد- كولا...**

أقول ابتداءً أنني كنت في أيام أبيك الملك رجلا فقيرا وابن رجل فقير،

كنت كلبا ميتا وشخصا وضيعا محاصراً فانتشلني أبوك من المزبلة،

وأصبحت أستلم منه الهدايا وصار أسمي يذكر بين أسماء الرجال المحظوظين،

وأخذت أستمتع بأكل (الفضالة) الدسمة وأعتاد أن يعطيني من وقت لآخر بغلا.

أو ثورا، وفي كل عام كنت أحصل على (مَنْ) أو (مَنين) من الفضة...،

والآن وقد خلف أباه، فإن الملك سيدي عزز،

السمعة الطيبة التي حققها، أما أنا فلم أكافأ على ما حققته من أعمال،

لقد عانيت بشكل لم يسبق له مثيل حتى كدت أن اسلم الروح...،

لقد مضت سنتان منذ أن نفق بغلاي كلاهما، فاضطررت الى الذهاب مشيا مرتين إلى أربيل ومرة إلى آشور...، إنني لا أقدر على شراء نعل،

أو أجرة خياط ولا أملك ثوباً بديلا" (عبدالواحد، ٢٠٠٠، الصفحات ٢٨١-٢٨٥).

يتضح لنا من خلال النص الحالة المعاشية فضلا عن المكانة الاجتماعية بين من هم في خدمة السلطة وبين الفقراء، فورد- كولا بعد أن عانى الفقر هو ومن قبله أبيه تغيرت حاله تماما عندما دخل في خدمة الملك، وبحسب تعبير النص أصبح إسمه يُذكر مع الرجال المحظوظين لكن عندما تم إنهاء خدماته لم يحصل حتى على مكافأة لقاء ما قدمه في خدمة السلطة ليعاني ضنك العيش. وهذا يدلل على عدم المساواة في توزيع الثروة، فضلا عن عدم اطمئنان الفرد على وضعه المعاشي لأن السلطة بإمكانها أن تسلبه ما كان يتمتع به لأي سبب من الأسباب. وهذا يعني عدم وجود ضوابط تضمن حقوق الأفراد. يتبين لنا إحساس العراقي القديم بالظلم، المسلط عليه من السلطة الحاكمة، وغياب العدالة الاجتماعية، والذي تجلى في ممارسات كلكامش من اغتصاب العذارى وتسخير الناس للعمل بدون أجر إلى غيرها من الممارسات. وهذا الشعور بالظلم الاجتماعي لم يكن بإمكان العراقي القديم مواجهته عن طريق الاحتجاج المباشر، ورفع الصوت ضد السلطة، أو الثورة عليها لإنهاء مأساته لما أحاطت به هذه السلطة نفسها من قدسية، كما أنه كان

أضعف من أن يواجه السلطة التي تمتلك القوة والثروة في حين يقف هو أعزل تجاهها، لذلك نراه يسلك طريق آخر للاحتجاج يتمثل برفع صوته وإيصاله الى الآلهة طلبا للخلاص من ظلم كلكامش.

" **يتوثب رفاقه على (صوت) طبله،**
(لكنه) يروّع شبان اوروك بلا مسوغ
لايترك جلجامش إبنا لأبيه،
صباحا ومساء يكدّر...،
... لايترك كلكامش بتولا لعريسها.
النسوة حكين مشاكلهنَّ إلى الإلآهات،
قدّمن شكواهن أمامهنَّ قائلات:
" **إنه ذو سطوة، متفوق، ذو معرفة، قوي...**
استمعت الإلآهات لشكواهنَّ
آلهة السماء أرباب الحق" (نائل، ٢٠٠٦، صفحة ٧٤)

وهكذا نجد أن سعي أهل اوروك للتخلص من استبداد كلكامش انتهى الى سماع الآلهة للصوت المطالب برفع الظلم، لذا قامت الإلهة اورور بخلق انكيدو بناء على أمر الإله آنو ليكون ندا لكلكامش، ومتصديا لظلمه. (حنون، نائل، ملحمة كلكامش، (نائل، ٢٠٠٦، صفحة ٧٥).

هذا الاحتجاج الذي تبيناه في ملحمة كلكامش بصيغة شكوى الى الآلهة المسؤولة عن إحقاق العدالة ضد كلكامش نجده يتحول الى نقد لاذع ضدها في قصيدة العدل الإلهي، التي يعود تاريخها إلى النصف الثاني من الألف الثاني قبل الميلاد، لإدراك العراقي القديم للرابطة التي اقامتها السلطة الحاكمة مع الإله، وعن طريقها قامت بسلب حقوقه بالمساواة وتوزيع الثروة بشكل عادل وغيرها من الأمور، وأعلت شأن أصحاب الثروة والنفوذ على الفقير الذي لا يملك قوت يومه (لابات، ١٩٨٨، الصفحات ٣٨٥-٣٩١).

وفي نص الحوار بين السيد والعبد نجد ان العراقي القديم الذي كان الإله قيمة عليا بالنسبة اليه يسعى لإرضائه بشتى الطرق يتغير تصوره في الألف الأول قبل الميلاد فهو يشكك في هذا الإله و يتعزز عليه مشعرا اياه بأنه (اي الإله) يعتمد عليه في الخدمة والصلاة والقربان وغيرها من الأمور، ولذا فعلى الإله الركض وراء السيد والتوسل به لكي يعبده وليس العكس.

"**لا، أيها العبد، لن أقدم فريضة لإلهي!**
حسنا تفعل، سيدي، حسنا تفعل!
ليتعلم إلهك الركض وراءك كالكلب
عندما يطلب اليك (خدمتي) او يقول (لم تسلمني)
أو أي شيء آخر" (جاكبسون وآخرون، ١٩٦٠، الصفحات ٢٥٦-٢٥٧).

ولدينا هنا نموذجان كلاهما له اعتراضاته وتساؤلاته على الوضع القائم، أحدهما يمثل الطبقة الفقيرة في المجتمع في حين يمثل الآخر سيدا من سادات المجتمع. هذا

الاحتجاج من قبل السيد يصل الى حد محاولة الثورة ضد السلطة الحاكمة لكنه يتردد أمام بطشها وقسوتها.

" **سأقوم بثورة!– إعمل هكذا ياسيدي، اعمل!**

إن لم تقم بثورة فمن أين لك أن ترتدي

ومن هو الذي يقدم لك ملأ بطنك؟

– اذن يا عبدي لن أقوم بثورة!

– لاتقم بذلك ياسيدي لاتقم!

إن الرجل الذي يُحي ثورة يقتل أو يسلخ جلده،

يقلعون عينيه، أو يعتقلونه أو يزجونه بالسجن" (لابات وآخرون، ٢٠٠٦، صفحة ٤٠٣).

غياب العدالة الاجتماعية لا يعني أنها كانت بعيدة عن ذهن العراقي القديم، بل نجد تمسكه بها من الناحية الفكرية، طامحا لتحقيقها، لذا فقد مجد الآلهة العظام ووصفها من خلال التراتيل، بأنها محبة للخير والعدل والفضيلة، فقد جاء في اسطورة اننّا والبستاني أن نزول الإلهة إلى الأرض للحد من المظالم.

" **اننّا المقدسة أرادت النزول إلى الأرض!**

وذلك للتفريق بين الأشرار والأبرار، ولسبر القلوب في البلاد،

والفصل بين الحق والباطل. من أجل ذلك

قررت النزول إلى الأرض" (الشواف، ١٩٩٦، صفحة ٨٦). كما نسوق هنا ترتيلة خاصة بالإلهة نانشة تعبر عن الضمير الاجتماعي الذي تتحلى به تجاه بني البشر:

" **(الإلهة) نانشه التي تعنى بالأرملة،**

التي تنشد العدالة(؟) لأفقر الفقراء(؟).

إن الملكة تأوي اللائذين بحضنها وحماها،

وهي التي تهيء المأوى للضعفاء". (كريمر، من ألواح سومر، ١٩٥٧، صفحة ١٥٩).

وهي التي تنصف الفقراء من المتسلطين لكي يقتصوا منهم، لأنها لا تقبل بالظلم والجور واغتصاب الحقوق:

"**تواسي اليتيم ولا تهمل أرملة**

تعد الموضع الذي تهلك فيه الأقوياء الطغاة

وتسلم الأقوياء 'إلى الضعفاء...،

إن (نانشه) تنفذ إلى قلوب الناس"

(كريمر، من ألواح سومر، ١٩٥٧، صفحة ١٩٦). وفي أحد النصوص الخاصة بهذه الإلهة نجدها تحاسب الأشرار في عيد رأس السنة، وتقف بجانبها إلهة الكتابة (نيدابا) وزوج الأخيرة المدعو خاى (Ḫaia) مع عدد من الشهود:

" **من سلك سبيل العدوان واغتصبت يده ما ليس له...(؟)**

من تخطى حدود النظم المقررة ونقض العقود والعهود،

من نظر نظرة رضا إلى موطن الشر...،

من بدل الوزن الكبير بالوزن الصغير،

من بدل الكيل الكبير بالكيل الصغير

من أكل ما ليس له ولم يق (أكلته).

من شرب ماليس له ولم يقل (شربته)...،
من قال لآكلن ما حُرم،
ومن قال لأشربن ما حُرم" (كريمر، من ألواح سومر، ١٩٥٧، صفحة ١٩٥).

يتبين لنا من خلال النص أعلاه أن ما تقرره الآلهة وما تريده، ويجب أن يسود على الأرض هو العدالة الاجتماعية، وعدم التعدي على الحقوق لكن الانسان هو الذي يخالف الإرادة الإلهية فيقع ظلمه على بني جنسه لذا فهو يستحق العقاب جزاء ما اقترفته يداه. لكننا مع ذلك نجد تناقضا في هذا الاستدلال حين نعرف أن الآلهة هي ذاتها من خلقت المساوئ الاجتماعية. ومع تسليم المفكر العراقي القديم بجهله سبب خلق الآلهة للقيم السلوكية غير الجيدة لكنه أوجد لها تبريرا مفاده أن أفكار الآلهة وسلوكها أعمق من أن يدركها الانسان. (كريمر، من ألواح سومر، ١٩٥٧، صفحة ١٩٦). أما المصائب والبلايا التي تحل بالإنسان إنما سببها هو وليس الآلهة، لأنه بحسب اعتقادهم لا يوجد إنسان بدون خطيئة. و كل العقوبات الإلهية التي تسلط على المجتمع البشري هي عقوبات عادلة ومستحقة بسبب آثام وخطايا أبناء المجتمع. (كريمر، من ألواح سومر، ١٩٥٧، الصفحات ٢٠٤-٢٠٥). وبصدد الحرص على شؤون المجتمع نجد التناغم بين الآلهة و الملوك، الذين يمثلون الآلهة على الأرض، فطالما تغنى ملوك العراق القديم بما وضعوه من قوانين، والحرص على سيادة النظام، وحماية الطبقات الاجتماعية الدنيا من سطوة المتنفذين، والقضاء على الشرور المجتمعية (كريمر، السومريون، تاريخهم وحضارتهم وخصائصهم، ١٩٧٣، صفحة ١٦٤).

من خلال التمعن في بعض النصوص الأدبية يمكننا أن نقف على بعض أشكال التمييز بين أبناء المجتمع وفقا لتصنيفهم الاجتماعي، ففي المحاورة بين السيد والعبد يأتي على لسان العبد مخاطبا سيده بالقول: " **أنظر إلى جمجمة الانسان الوضيع وجمجة الانسان العظيم، هل تستطيع التفريق بينهما**" (السواح، فراس، ٢٠٠١، صفحة ٢٤١). يتبين لنا من خلال هذه المقارنة أن العراقي القديم في الوقت الذي يعترف فيه بأن لا فرق بين الانسان البسيط والانسان ذو المكانة الاجتماعية الرفيعة من ناحية الخَلق إلّا انه يميز بينهما من ناحية المكانة الاجتماعية، فيصف الانسان البسيط بأنه وضيع لا شأن ولا قدر له في حين يُطلق صفة العظمة على صاحب الجاه والنفوذ. وهذه لابدّ أن تكون نظرة مجتمعية وليست نظرة فردية وإلّا لما صارت مثلا للمقارنة. وفي المناظرة المدرسية التي دارت بين شخصين يدعى أحدهما انكيتالّو Enkkitallu والآخر انكيخكال Enkiḫegal نجد التمايز الاجتماعي

واضحا في هذا النص اذ يخاطب الأول الثاني بقوله:

" **أين هو، أين ذلك الشخص الذي يقارن نسبه بنسبي!**
فلا من جهة الأب ولا من جهة الأم
يستطيع مقارنة نسبه بنسبي
ولا من جهة الأسياد ولا من جهة العبيد
يشبه نسبك نسبي" (علي، ٢٠٠٠، صفحة ٢٦٦)

في المقابل نجد أن المفكر العراقي القديم يحاول أن يهذب تصرفات أبناء المجتمع ليبعدهم عن التمييز والاستهزاء بالفقراء والمساكين، بل يحاول أن يبني مجتمعا يسوده الوئام والتسامح. و يمكن الوقوف على هذه الرغبة من خلال أحد النصوص التي جاءتنا على شكل نصائح أب لإبنه:

لا تظهر شريرا ضد من يبحث عن مخاصمتك،
واصنع الخير لمن اساء إليك،
وابق عادلا تجاه من كان شريرا تجاهك،
ولتبقَ نفسك هادئة تجاه عدوك!
(لا تحتقر) الضعيف، بل أشفق عليه،
والذين هم في المحنة، لا تعاملهم بازدراء،
ولا تشمئز منهم بغطرسة" (لابات، ١٩٨٨، الصفحات ٤١٩-٤٢٠).

إن سوء الوضع الاجتماعي، والمعاناة الاقتصادية ألهمت المفكر العراقي القديم بابتداع طوبائية اجتماعية يعيش فيها الانسان حياة فاضلة مثالية، خالية من المشكلات والصراعات الاجتماعية، مبنية على الطاعة والاحترام في تراتبية تصاعدية وصولا إلى الدولة والمجتمع:

"**يوم يحجم المرء عن السفاهة إزاء غيره،**
ويكرم الابن أباه،
يوم يبين الاحترام جليا في البلاد، ويبجل صغير القَدْر الكبير،
يوم يحترم(؟) الأخ الصغير... أخاه الكبير،
ويرشد الولد الأكبر الولد الأصغر ويتمسك (الأخير) بقراراته" (جاكبسون وآخرون، ١٩٦٠، الصفحات ٢٣٩-٢٤٠). بل ان العراقي القديم في بحثه عن العدالة الاجتماعية، وهناء العيش يتمثل في ذاكرته الفكرية عصرا ذهبيا عاش فيه الانسان بعيدا عن كل ما ينغص عليه حياته، عصرا تسوده العدالة الاجتماعية، بل أكثر من ذلك ففي ذلك العصر المثالي لم يكن هناك ما يخيف الانسان أو يهدد حياته، ولا منافس له. و كان المجتمع يعيش بسلام ووفرة، تغلب عليه الوحدة والألفة والطمأنينة؛ وما عزز هذه الوحدة المجتمعية وحدة الدين واللغة. (كريمر، من ألواح سومر، ١٩٥٧، الصفحات ٣٧٩-٣٨٠). هذا الحنين إلى مجتمع مثالي تخيل العراقي القديم وجوده، في الماضي البعيد، إنما هو في حقيقته أفكار و تصورات دارت في خلد المفكر العراقي القديم ترسم ما يرغب أو يتمنى أن

يكون عليه المجتمع الذي يعيش فيه و أبنائه من بعده.

المحور السادس: العدالة القضائية

كانت العدالة القضائية موضوعا لأدب العراق القديم، فضلا عن مقدمات القوانين العراقية القديمة، مما يؤكد الاهتمام البالغ بهذا الموضوع، من الناحية الفكرية، كونه هو الآخر مطلبا إلهيا أولا، وأيضا كون هذا الموضوع لاشك له تأثيره الايجابي على شعبية الملك ومقبولية حكمه، وإن كان يستمد سلطته من الآلهة لا من البشر، غير أن رحمة الآلهة هي التي ارتضت بل فرضت أن تسود العدالة في المجتمع لذا نجد هذا الاهتمام بموضوع العدالة. ومن الناحية العملية، يبدو أن العدالة كحق مشروع وليس منة شخصية تطورت تدريجيا في الألف الثاني قبل الميلاد عندما تطورت الدولة، وسلطتها المركزية فضلا عن كفاءة النظام القضائي المسؤول عن تطبيق العدالة (جاكبسون وآخرون، ١٩٦٠، الصفحات ٢٤٥-٢٤٦).

ونجد في أدب العراق القديم دليلا على بحث العراقي القديم عن الانصاف واقامة العدل ومنع الظلم الذي يلحقه بني البشر بعضهم ببعض أو السلطة بفرد او مجموعة من الناس، ففي احدى التراتيل المقدمة للإله شمش (إله العدالة) يرد:

" **إيه يا شمشي ملك السماء والأرض... أنت قاضٍ لا سبيل لإفساد ذمته**" (قاشا، ٢٠١٠، صفحة ٣٢٦). وفي صلاة مقدمة لهذا الإله نقرأ:

" **أي إلهي... إله الرحمة، الذي يرفع المهان ويحمي الضعيف**

أنت تقود مجموعة البشر كرجل واحد" (قاشا، ٢٠١٠، الصفحات ٣٢٦-٣٢٧).

هذه الصفات التي أضفاها الفكر العراقي القديم على الإله شمش هي التي يجب أن يتحلى بها القاضي المسؤول عن إقامة العدل وإلا سيكون مصيره سيئاً على عكس القاضي العادل، الذي ينعم عليه هذا الإله بأفضل ما يجازى به الإنسان الا وهو طول العمر، والمكانة العالية، وهناء العيش.

" **تودي عدالتك بالقاضي الفاسد إلى السجن،**

وتنزل عقابك بالمرتشي الذي يحرف سير العدالة.

أما المستقيم الذي يرفض الرشوة وينتصر للضعيف،

يفرح به فؤادك فتثري حياته وتزيد في أيامه.

القاضي النزيه الذي يُصدر الأحكام بالحق، تجعل مكانته سامية وتسكنه مساكن الأمراء" (السواح، فراس، ٢٠٠١، صفحة ٢٣٤).

يشير أحد نصوص أدب الحكمة (باقر، ١٩٧٦، الصفحات ١٦٠-١٦١) الى ما

يجب أن يكون عليه الحاكم في تعامله مع المحكومين، إدراكا من العراقي القديم، لأهمية العدل والمساواة في المجتمع، فعندما يشعر كل فرد في المجتمع بأن السلطة تتعامل معه دون تحيز أو تمييز؛ وأنها تحترم حقوقه ولا تتعدى عليها، يُشعره هذا الأمر بأنه جزء هام وفاعل في المجتمع، وهذا يجعله يحترم المجتمع الذي يعيش فيه، ويعمل على كل ما فيه خير وصلاح ذلك المجتمع على العكس من الفرد الذي يشعر بالتمييز والاغتراب في مجتمعه الأمر الذي يجعله ينفصل عن المجتمع بحيث لا يعود يشعر لا بقيمته كفرد ولا بقيمة المجتمع الذي يعيش فيه، وبالنتيجة لا يعود يشعر بالمسؤولية تجاه مجتمعه. ومن هنا فالملك الذي لا يهتم بإقامة العدل ستكون نتيجة تصرفاته الفوضى المجتمعية، وخراب البلاد فضلا عن غضب الآلهة عليه مما يعرضه لصنوف البلاء. كما يعالج النص خطورة الفساد المالي والاداري باعتباره آفة تهدد المجتمع وتُغضب الآلهة وأن السير في هذه الطريق تكون نتيجتها احلال الخراب والدمار في البلاد. كما أن من يقوم بهذه التصرفات، من الحكام، ستسلبه الآلهة ما جمعه بغير حق من الشعب وتعطيها الى أعدائه. من هنا يمكن القول أن المفكر العراقي القديم كان يهدف إلى وجود سلطة سياسية خيرة هدفها مصلحة المجتمع لا أن تكون سلطة تعسفية مستبدة، هدفها الأول تحقيق مصالحها الذاتية على حساب أفراد المجتمع عن طريق الرشوة أو عبر فرض الغرامات بدون وجه حق. والشيء الأكثر أهمية هو ضرورة احترام حرية الفرد وعدم فرض السخرة عليه. فالأفكار الاجتماعية التي حملتها النصوص الأدبية كانت تحث على الفضيلة وعلى كل ما فيه خدمة المجتمع، و استهجانها للأفعال والتصرفات التي فيها ضرر المجتمع وخرابه، وتركيزها على العقوبات الإلهية الصارمة كرادع لمثل تلك الأفعال الشائنة. بل وعلى القائمين على المجتمع الاستماع الى صوت أهل الرأي والمشورة لا أن تتفرد بقرارتها فتقع فيما لا تحمد عقباه.

المحور السابع: التنافس والصراع الاجتماعي

تطلعنا الموضوعات الحوارية التي أتفق على تسمياتها بالمناظرات الأدبية على التنافس الذي كان يدور بين الفئات الاجتماعية ضمن الطبقة الواحدة، وربما الصراع بين فئات المجتمع، التي أخذت منحى الجدل بين أصحاب الحرف عن مدى أهمية تلك الحرف للمجتمع، التي من خلالها تكون مكانة أصحابها. ذلك التنافس والجدل الذي يصل الى حد التوتر والتأزم في العلاقات المجتمعية. ويبدو أن خطورة تلك المشاحنات هي التي جعلت المتحكمين بالشأن السياسي، الذين يقع على عاتقهم حماية المجتمع من

الهزات العنيفة التي تخل باستقراره، الى اللجوء الى الضابط الاجتماعي الأقوى المتمثل بالدين؛ لذا نجد أن الإله يتدخل كحكم بين الأطراف المتنافسة ليعطي الأفضلية لطرف على حساب الآخر دون اغفال أهمية الطرف الثاني باعتباره عنصرا مجتمعيا فاعلا لا يمكن الاستغناء عنه.

إن النهاية التي تنتهي بها هذه المناظرات الأدبية دائما ما تكون بانتهاء الخصومة بين المتنازعين، وعودة الود والتوافق بينهم والنية الصادقة في التعامل دون أن يكون للعداوة والبغضاء استمرارية، تؤدي الى ما لا يحمد عقباه. وهذا يشير الى أن تلك المناظرات ذات معان وقيم عالية عبرت عن واقع المجتمع الذي ظهرت فيه (الجبوري، ٢٠٠٠، صفحة ١٣٨).

وسنكتفي هنا بإيراد مثال واحد عن تلك المناظرات للدلالة على ما تقدم. ففي المناظرة بين الراعي (دموزي) والفلاح (انكي– امدو)، يمكن الوقوف على العلاقات والتنافس الاجتماعي بين أبناء المجتمع. وهنا نجد أن الإله (اوتو) شقيق الإلهة اننّا يحاول اقناعها بالزواج من الراعي لكنها تفضل الزواج من الفلاح لكن دون جدوى، ثم يأتي بعد ذلك الحوار بين الراعي والفلاح لإثبات كل منهم أحقيته بالزواج من اننّا، وفي النهاية نجح الراعي في اقناع اننّا بالزواج منه معتمدا على فصاحته وحججه التي ساقها.

" **أخوها البطل اوتو المحارب.**

قال لاننّا الطاهرة.

يا أختاه دعي الراعي يتزوجك.

لمَ الإعراض عنه، يا اننّا العذراء...

كلا إنما فتى قلبي...

إنه من يحرث الأرض و يملأ مخازن الغلال" (الجبوري، ٢٠٠٠، الصفحات ١٤٠–١٤٣). وهنا يأتي الراعي لطرح حجته في اقناع اننّا مستعرضا ما يمكن أن يقدمه لها معددا خصاله التي يأتي في مقدمتها الكرم تلك الصفة المحمودة في كل زمان.

" **الفلاح عنده أكثر مني، ما الذي عنده أكثر مني**

اذا أعطاني دقيقه الأسود ، فسأعطيه – للفلاح– نعجتي السوداء

واذا أعطاني دقيقه الأبيض، فسأعطيه – للفلاح– نعجتي البيضاء..." (الجبوري، ٢٠٠٠، الصفحات ١٤٤–١٤٥).

وبعد أن تمكن الراعي من اقناع اننّا بالعدول عن الزواج من الفلاح نجده يدخل في صراع معه لكن الأخير يمتص غضب الراعي بقلبه الطيب المسالم، ويأبى الدخول معه في صراع أو جدال أو حرب كلامية جديدة، بل نجد العكس من ذلك تماما فقد تقبل فوز خصمه دون انزعاج وسمح لقطعان خصمه الرعي في أرضه. وقد كان لهذه التصرفات

وقعها في نفس الراعي الذي سكن غضبه فتصالحا، وقام الراعي بدعوة الفلاح بحضور عرسه باعتباره صديقا.

" **ايها الر اعي تريدني أن اكون ضدك، أكون عدوك فعلام أسعى للخصومة.**

دع غنمك تأكل العشب الذي ينمو على شاطئ النهر.

وفي أرضي المزروعة دع غنمك تسرح...

أما فيما يخصني، أنا الراعي، وفي حفل زواجي

عساك تكون أيها الفلاح من بين أصدقائي وخلاني" (الجبوري، ٢٠٠٠، الصفحات ١٤٦-١٤٧). ونجد هنا فكرة غاية في الأهمية يطرحها النص هي، أن التنافس الاجتماعي يجب ألاَ يصل إلى حد العداء السافر لأن الخصمان لكل منهما دوره وفضله وفائدته و عمله الضروري للمجتمع. (جاكبسون وآخرون، ١٩٦٠، صفحة ١٩٨). الأمر المهم الآخر الذي أوضحته المناظرة بين الراعي والفلاح ان التنافس بين الاثنين يعكس في حقيقته الصراع بين البداوة والحضارة، فدموزي الذي يمثل شخصية الراعي ذو الطبيعة البدوية التي شكلتها البيئة القاسية والظروف المعيشية الصعبة. هذه الظروف جعلت منه ذو شخصية حساسة احساسا مفرطا يجعله سريع الغضب، شديد النقمة ميال إلى استخدام القوة لأنه يعتبر أن العكس من ذلك هو مدعاة للعار ودليل على الجبن والضعف. بينما نجد الفلاح الذي يمثل الحضارة مسالما معتادا على التسامح والهدوء والمجاملة، يعرف كيف يوازن بين المواقف وحين لا تكون مجريات الأمور في صالحه يمكنه التخلص من ذلك متجنبا الصدام، جانحا إلى السلم (الجبوري، ٢٠٠٠، صفحة ١٤٨).

إن الكيان السياسي الذي يضم العنصر المتحضر والعنصر البدوي، كالعراق القديم، نجد شعبه يعاني من صراع اجتماعي ونفسي، فالقيم الحضرية لا تتمتع بالاستمرارية لأن الصحراء دائما ما تمده بموجات سكانية جديدة تقلق الاستقرار الاجتماعي، ومن الناحية الأخرى لا يستطيع أن يكون بدويا لأن بيئته التي تمتلك مقومات الحضارة من وفرة المياه وخصوبة الأرض تضطره الى تغيير القيم البدوية الوافدة إليه بما يتلائم وظروفه الخاصة (الوردي، ١٩٦٥، صفحة ١٢). ولعل أفضل ما يعبر عن ادراك العراقي القديم لهذه الحقيقة ماورد في اسطورة زواج (مارتو Martu) وهو إله ثانوي كان يسكن البادية والسهوب ثم سكن بعد ذلك ضواحي مدينة نيناب Ninab[٤] ، وتعبد في معابدها. أما دخوله للمدينة فكان الغرض منه العمل بأجر يومي. وحين فكر بالزواج تعلق قلبه بابنة إله سيد المدينة، وعندما تمكن من التغلب على خصومه في رياضة المصارعة؛ التي أُقيمت بمناسبة عيد

المدينة رفض المكافآت التي قدمها له إله المدينة بمناسبة الفوز طالبا بدلا عنها يد ابنته الجميلة آدنيجكيدو Adnigkidu، وقد تحقق له ما أراد متجاوزا المعوقات الاجتماعية التي اعترضت طريقه. وما يهمنا في هذه القصة الاسطورية، التي تعكس واقعا اجتماعيا، هو عملية الاندماج الاجتماعي، ذلك الاندماج الذي لم يكن سلسلا ومن دون اعتراضات، نتيجة للاختلافات الموجودة في العادات والتقاليد وظروف المعيشة بين البيئة البدوية والحضرية. فبيئة المارتو هيأت له القوة البدنية التي جعلته ينتصر على مصارعي مدينة نيناب، لكن هذه البيئة الخشنة لا تناسب إبنة المدينة، خصوصا وأنها ذات جاه وعز، لهذا نرى أن صديقة العروس تحاول افشال هذا الزواج:

" **في أحد الأيام، وقبل أن يعقد الزواج**
[إحدى رفيقات آدنيجكيدو قالت لها]:
هو المترحل التائه وعدو الـ [...]...
يرتدي جلود الخراف (؟)[...]
يسكن تحت خيمة (معرّضة) للرياح والأمطار [...]
لايقدم التضحيات (؟)
حيث يستخرج الكمأة، لا يعرف (طي الركبة)
يأكل اللحم نيئا
يمضي حياته دون بيت
وعندما يموت لا يدفن حسب الطقوس
كيف يمكنك ياصديقتي الزواج من مارتو؟
لكن آدنيجكيدو ردت على رفيقتها قائلة:
(على الرغم من كل شيء سأتزوج مارتو)"
(قاسم، ١٩٩٩، الصفحات ٣٠-٣١).

إن هذا الإصرار على الزواج من البدوي انما هو ترجمة لواقع تاريخي يتمثل بعملية اندماج الاقوام المترحلة مع سكان المدن المستقرة، وان أخذت هذه العملية وقتا. بل نحن نعرف أن هؤلاء المارتو تمكنوا من اسقاط سلالة اور الثالثة السومرية عام ٢٠٠٤ ق.م مبتدئين عصرا جديدا عُرف باسم العصر البابلي القديم استمر حتى عام ١٥٩٥ ق.م. وفي الحقيقة ان الفكر العراقي القديم قد ميز البدوي منذ البداية حين جعل البداوة على أنها من ضمن الفعل التنظيمي للآلهة كما جاء في اسطورة انكي وتنظيم الكون.

" **أما الذين لا مدن لهم ولا بيوت**
المارتو فقد خصص لهم القطعان نصيبا"
(قاسم، ١٩٩٩، صفحة ١٧٤ كذلك ١٦٧).

إن حديث العراقي القديم، على لسان الإله انكي، عن طبيعة حياة البدوي في حقيقته هو حديث عن واقع موجود أمام ناظريه.

نتائج البحث

توصلت الدراسة الى النتائج الآتية:

١- إن النصوص الأدبية العراقية القديمة هي في أغلبها نصوص سومرية تبنتها الأقوام الجزرية (السامية) وقامت بإعادة انتاج بعضها، فضلا عن التآليف الأدبية

للأقوام الجزرية، لذا فالفكر الاجتماعي الوارد في النصوص الأدبية هو فكر اجتماعي عراقي قديم جاء كمحصلة للتمازج بين النتاج الحضاري السومري والجزري لينتج وحدة حضارية.

٢- كان الفكر الاجتماعي العراقي القديم فكرا رائدا ضمن حضارات الشرق الأدنى القديم التي كانت تتشارك الطموحات الاجتماعية التي شغلت فكر العراقي القديم.

٣- طرح الأدب العراقي القديم أفكارا اجتماعية غاية في الأهمية. وتلك الافكار الاجتماعية لم تطرح على شكل نظريات أو طروحات مستقلة، بل جاءت تلك الأفكار متداخلة مع مواضيع أخرى تضمنتها النصوص الأدبية التي غلب عليها الطابع الديني. لذا كان لزاما تشخيص ذلك الفكر واظهاره من بين تلك النصوص بغية الوقوف على محتواه.

٤- تأثر الفكر الاجتماعي العراقي القديم بالطبيعة البشرية والتفاعلات الاجتماعية داخل المجتمع، وكان للبيئة الطبيعية التي عاش فيها العراقي القديم انعكاسها على الفكر بشكل عام، وبضمنها الفكر الاجتماعي.

٥- حوت النصوص الأدبية أفكارا اجتماعية عن التحضر والعدالة الاجتماعية والقضائية والكرامة الانسانية، وهي مواضيع لاتزال تشغل بال الانسان الى اليوم، ولازالت الكثير من الشعوب تناضل من أجل تحقيقها في مجتمعاتهم، لذا فالعراقي القديم كان سباقا في طرح تلك الأفكار محاولا تحويلها إلى ممارسات واقعية. مما يعني أن المفكر العراقي القديم كان على وعي بالحقوق الاجتماعية على الرغم من القيود المتعلقة بالإرادة الإلهية التي هي في حقيقتها القيود التي وضعها رجال الدين وأصحاب الشأن للمحافظة على امتيازاتهم وامتيازات الماسكين بالسلطة والمتنفذين.

٦- نجد في النصوص الأدبية أفكارا تبدو متناقضة، فمن جهة نجد نصوصا تطرح أفكارا اجتماعية متقدمة، كما ذكرنا في النقطة السابقة، لكن في المقابل طرحت بعض النصوص أن على الانسان الانصياع لأوامر الآلهة والحكام دون أي اعتراض والتسليم بالأمر الواقع، كون الانسان أدنى من أن يميز بين ما هو صالح وما هو غير صالح بالنسبة له. وبالتأكيد أن هذا الطرح فيه سلب لحرية الانسان وارادته أمام دكتاتورية السلطة المدعومة إلهيا. وهذا متأتي من كون الفكر العراقي القديم آمن بأن كل شيء يسير وفقا لمشيئة الآلهة وارادتها.

٧- كانت ارادة الآلهة تتمثل في أن تسود العدالة الاجتماعية غير أن الانسان هو الذي يخالف تلك الارادة ويقوم بممارسة المظالم الاجتماعية ضد أخيه الانسان لذا فهو يستحق العقاب الإلهي، وأن المصائب و

العقوبات التي تسلطها الآلهة على الانسان سببها هو وليس الآلهة، وهي عقوبات عادلة ومستحقة بسبب خطايا وآثام أبناء المجتمع. على الرغم من ايمان العراقي القديم بأن الآلهة هي التي خلقت المساوئ الاجتماعية، لكنه علل هذا الرأي أيضا بقصور فهم الانسان أمام حكمة الآلهة.

٨- إن زيادة خبرة الانسان و تطور التجربة الانسانية أدى بالنتيجة إلى تطور الفكر الاجتماعي، فالعدالة، على سبيل المثال، التي كانت منّة تمُنُ بها الآلهة على الإنسان أصبحت في الألف الثاني قبل الميلاد حقا مشروعا لكل أبناء المجتمع وفقا للفكر العراقي القديم.

٩- إن الأوضاع الاجتماعية السيئة التي عاشها العراقي القديم دفعت أصحاب الفكر إلى ابتداع طوبائية اجتماعية يعيش فيها الانسان حياة فاضلة مثالية، خالية من المشكلات والصراعات الاجتماعية، فضلا عن تخيله لعصر ذهبي، في الزمن الغابر، عاش فيه الانسان حياة اجتماعية مثالية. وهذا في الحقيقة يعكس ما كان يطمح إليه العراقي القديم ويتمناه لمجتمعه كي يعيش هو وأبنائه في سعادة وهناء.

١٠- كان الأديب العراقي القديم باعتباره في طليعة المهتمين بشؤون المجتمع وأحواله الاجتماعية، فقد حمل هموم مجتمعه محاولا ايجاد الحياة الأفضل لأبناء مجتمعه. وقد أدى دورا ارشاديا واعلاميا هاما للسلطة والمجتمع من خلال النصائح والحكم التي يجب أن تكون عليها السلطة التي تحكم بالعدل والانصاف. وحثه أبناء المجتمع على ضرورة التمسك بالقيم السلوكية الجيدة لخلق مجتمع صالح.

١١- كانت الوحدة الاجتماعية محط اهتمام الأديب العراقي القديم لذا نجده يحث على كل ما من شأنه العمل على تماسك المجتمع ووحدته، وأن التنافس بين أبناء المجتمع يجب أن لا يتحول إلى عنف يهدم تماسك المجتمع، وأن النزاع بين المتخاصمين يجب أن يُحل سلميا بتوافق الأطراف المتنازعة.

١٢- على الرغم من استبداد الحكام والملوك الا أنهم أظهروا أنفسهم بمظهر الحريصين على اسعاد المجتمع، واقامة العدل وتوفير الرخاء الاقتصادي وكل ما فيه صالح المجتمع الذي يحكمونه نيابة عن الإله.

الهوامش:

(١) للتفصيل، ينظر: Jacobsen, Th., "Primitive democracy in Ancient Mesopotamia", in, JNES, 2, (Chicago, 1943), pp. pp.159-172.

(٢) * للتفصيل، ينظر: الطعان، عبدالرضا، الفكر السياسي في العراق القديم، دار الرشيد للنشر، (بغداد، ١٩٨١)، ص٥٠٥ ومابعدها.

(٣) المشجور Mašgur اسم شجرة غير معروفة بالضبط، وربما تكون الأثل او الطرفاء. ينظر: الشواف، قاسم، ديوان الأساطير، دار الساقي، (بيروت، ١٩٩٦)، ج١، ص١٦٣، حاشية (١).

(٤) تقع مدينة نيناب بالقرب من جيرتاب Girtab الواقعة جنوب بابل. ينظر: الشواف، قاسم، ديوان الأساطير، دار الساقي، (بيروت، ١٩٩٩)، ج٣، ص٢٣، حاشية (٣).

المصادر والمراجع

١- الأحمد، سامي سعيد، " أسطورة ايتانا والنسر – استنتاجات-"، مجلة المؤرخ العربي، العدد الثامن عشر، (١٩٨١).

٢- باقر، طه، مقدمة في أدب العراق القديم، دار الحرية للطباعة، (بغداد، ١٩٧٦).

٣- بانو، يون، " التكوين الاجتماعي ((الآسيوي)) في منظور الفلسفة الشرقية القديمة"، ستُّ دراسات في النمط الآسيوي للإنتاج، ترجمة احمد صادق سعد، دار الطليعة للطباعة والنشر، (بيروت، ١٩٧٩).

٤- جاكبسون، ثوركيلد وآخرون، ما قبل الفلسفة، الانسان في مغامرته الفكرية الأولى، ترجمة جبرا ابراهيم جبرا، مراجعة محمود الأمين،مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر، منشورات مكتبة الحياة، (بغداد،١٩٦٠).

٥- الجبوري، صلاح سلمان رميض، أدب الحكمة في بلاد وادي الرافدين، دار الشؤون الثقافية العامة، (بغداد، ٢٠٠٠).

٦- حنون، نائل، ملحمة جلجامش، ترجمة النص المسماري مع قصة "موت جلجامش" والتحليل اللغوي للنص الأكدي، دار الخريف للنشر والتوزيع، (دمشق، ٢٠٠٦).

٧- الحوراني، يوسف، البنية الذهنية الحضارية في الشرق المتوسطي الآسيوي القديم، دار النهار للنشر، (بيروت، ١٩٧٨).

٨- رو، جورج، العراق القديم، منشورات وزارة الثقافة والاعلام، (بغداد، ١٩٨٤).

٩- السواح، فراس، الأسطورة والمعنى، دراسات في المثيولوجيا والديانات المشرقية، دار علاء الدين للنشر، (دمشق، ٢٠٠١).

١٠- شتراوس، ليفي، الأسطورة والمعنى، دار الشؤون الثقافية العامة، (بغداد، ١٩٨٦).

١١- الشواف، قاسم، ديوان الأساطير، دار الساقي، (دمشق، ١٩٩٦)، ج١.

١٢- الشواف، قاسم، ديوان الأساطير، دار الساقي، (دمشق، ١٩٩٩)، ج٣.

١٣- علي، فاضل عبدالواحد، سومر أسطورة وملحمة، ط٢، دار الشؤون الثقافية العامة، (بغداد، ٢٠٠٠).

١٤- قاشا، سهيل، تاريخ الفكر في العراق القديم، التنوير للطباعة والنشر، (بيروت، ٢٠١٠).

١٥- كريمر، صموئيل نوح، من ألواح سومر، ترجمة طه باقر، مراجعة احمد فخري، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، (بيروت، ١٩٥٧).

١٦- كريمر، صموئيل نوح، الأساطير السومرية، ترجمة يوسف داود عبدالقادر، منشورات جمعية المترجمين العراقيين، (بغداد، ١٩٧١).

١٧- كريمر، صموئيل نوح، السومريون، تاريخهم وحضارتهم وخصائصهم، (الكويت، ١٩٧٣).

١٨- كريمر، صموئيل نوح، طقوس الجنس المقدس عند السومريين، ترجمة نهاد خياطة، ط٢، (بيروت، ١٩٨٧).

١٩- كونتينو جورج، الحياة اليومية في بلاد بابل وآشور، دار الرشيد للنشر، (بغداد، ١٩٧٩).

لابات، رينيه، المعتقدات الدينية في بلاد وادي الرافدن - مختارات من النصوص البابلية- ترجمة الأب البير ابونا و وليد الجادر، (بغداد، ١٩٨٨).

٢٠- لابات، رينيه وآخرون، سلسلة الأساطير السورية، ديانات الشرق الأوسط، ترجمة مفيد عرنوق، ط٢، منشورات علاء الدين، (دمشق، ٢٠٠٦).

٢١- الوردي، علي، دراسة في طبيعة المجتمع العراقي، (بغداد، ١٩٦٥)

٢٢- Lambert, W.G, Babylonian Wisdom Literature, (Oxford, 1960).

٢٣- Jacobsen, Th., "Primitive democracy in Ancient Mesopotamia", in, JNES, 2, (Chicago, 1943.